

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريك اللبناني

الياس بطرس الحويك

١٨٤٢-١٩٣١

بقلم الحوري منصور عواد عواد

٣

البطريك

في اليوم الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٩٨ ، كانت الثلج تغطي لبنان بأكامه وسفوحه ، من شاطئ البحر الى اعلى قمة فيه . وكانت ساء لبنان مريدة قائمة تجلها النجوم والسحب وقد تجمدت من قرص البرد ، وبدا البحر متجهماً وجهه ، مسوداً كله ، مرعباً منظره لا يظهر منه الامواجه تتكسر على الشاطئ مزبدة بيضاء تحاكي في ذلك القمام الطيبي النهاري بقية الامل في عيني الرجل الياس من الحياة ابان شدة محنته واشتداد قنوطه ا وقد عمّ السكون البلاد بأسرها فلا صوت للطبيعة ، ولا صوت للناس . فهم قد لازموا بيوتهم مختبين وكان الرعد يمتنع عند دويبه كأنه صادر من صدر فيه حشجة الموت ، فكان الثلج وهو ينطفي ارض لبنان جيمها كأنه كفن اعدته يد الرب للبنانيين عظيمين انطفأ سراج حياتهما في ذلك النهار ، بل كانت السحب باريداد وجهها كأنها بساط الرحمة الالهية نشر على وجه السماء . حداداً على الراحلين الكيريين . كان احدهما مجهولاً لدى الناس معروفاً لدى الله ، منقطعاً الى خدمة ربه في صومعة على رأس جبل في محبة دير مار مارون عتايًا ، وهو الحليس الاب شربل مخاوف بقاعكفرا الراهب اللبناني الذي عرف منذ طفولته بالقداسة وكان قديساً في جميع ادوار حياته الرهبانية . والذي مضى على وفاته ثلاثة وثلاثون عاماً ولا يزال جثمانه محفوظاً الى يومنا هذا كأن روحه لم تفارقه الا منذ ساعات ، بل لا يزال يرشح من جثمانه عرق لا يرشح الا من

اجساد الاحياء! هذا هو احد الراحلين في ذلك النهار، وقد تحدث الناس في عجائبه وعجيب بقاء جثمانه في تلك الحالة الغير الطبيعية حتى هذه الساعة. وهو الذي بُوشر الفحص عن قداسه بطريقة قانونية لتثبته قديماً وتكريمه على المذابح.

وأمّا الراحل الآخر العظيم امام الله والناس فقد كان البطريك الماروني يوحنا الحاج الاداري الاوحد، السياسي الفذ، الماضي العزيمة، العامل، النقاد، النادر المثال بنشاطه وعزة نفسه وبراغته في الحكم، الراعي الصالح الذي رعى الملة المارونية نحو تسع سنوات فبلغ بها شأواً عالياً مجيداً قد لا يبلغه غيره في سنوات كثيرة! وكانت اجراس الكنائس في الطائفة المارونية، من سيف البحر الى ما وراء جبل لبنان الشرقي، تنمي البطريك باصواتها المختنقة حزناً وألماً وفي رنتها غصة الموت واصوات القبور فتها فيها الصقيع والموا المتيس بضباب الثلوج فظنها الناس مدركة هول المصاب بمن تنهه مختنقة اللب والصوت عليه!

وكانت المواصف في البحر الى مجال يمدد تحمل في احداثها صدى النكبة الشديدة التي انتابت الموارنة. فأطلت الموارنة وسائر اللبنانيين معهم من كوى بيوتهم يبحثون في ذلك القضاء القاتم عن نجم البطريكية. فخاله اكثر الناس في «نجم» كسروان الذي كان يرسل اشتمه في سائر البلاد، كأنه نجمة الصبح الصاعدة فوق صنين تبشر بالصباح، ولا غرو فقد كان ألف اللبنانيون منذ قرن ان يروا نجوم البطاركة تبزغ من كسروان، من البطريك العالم يوحنا الخلو الى البطريك الفتي يوسف حبيش الى يوسف الخازن قبولس مسعد فيوحنا الحاج. ولكن ما اقصر مدى الابصار البشرية فانظار الناس لها افاق ضيق تكون تساء اذا علقتنا كل آماننا عليه وعلى ما يبصر الناس منه، وللصناية الالهية افاق واسع بل غير متناه لا يجده حد بشري!

ولا يُستغرب انتكار الموارنة بن يئلف البطريك يوحنا الحاج ساعة فُجِعوا به فهذا مألوف البشر ان يودعوا الملك الميت نبات الملك، ايحي الملك افا لبطريك الماروني ملك في الشرق ورأس لا تعيش الملة بدون، فلا يمينا الجسم بدون رأس. لا يُستغرب الامر والبطريك الماروني هو المرجع الاكبر الاول في حياة البلاد الدينية والسياسية، وللناس كلهم مصالح في الدين والدنيا، بحيث تكون مصلحة

الاثنان فهناك عقاه وقلبه ، بل ان البطريوك الماروني أب للملة المارونية، والابناء لا يستطيعون، اذا مات والدكم، ان يعيشوا ايتاماً اذا كان في وصمهم ان يستيدوا اباهم الى الحياة ، فانتخاب الخلف البطريوكي يمود ابو الطائفة الى الحياة في شخص خليفته . وهذا سر توجه انظار الموارنة حال وفاة بطريوكهم الى من يخلفه لا لانهم ينون او يتناسون السلف العظيم بل لانهم يميزون الحياة ويريدونها اغزر مما كانت في الرأس الجديد حيث حياتهم بكل انواعها ومظاهرها .

فيما كان اللبنانيون ينظرون الى « نجم » كسروان البهيج ، كاتب الصناية الالهية قد حوت نظرها الى نجم آخر اعدته للموارنة وللبنان ، الى نجم حلتا المحتجب آنثر في رومية وراء البحار والمواصف ، يتهج بنوره تلامذة المدرسة المارونية ، دون سواهم ، يتهجون به ولا يتدرونه قدره ولو أعطي لهم ان يدركوا من كان ومن سيكون ذلك الرئيس لطبوا عليه عيونهم وقلوبهم ولما فارقوه قيد لحظة طيلة اقامته بينهم رئيساً عليهم !

حملت اسلاك البرق الى رومية نياً كارثة الموارنة بطريوكهم يوحنا الحاج ؛ فظم المصاب على المطران الياس الحويك واتجهت انظاره الى السدة البطريوكية واخذ يفكر في من يجب ان يخلف ذلك الطود العظيم الذي غاص في بحر الابدية ويتأمل في عظم المسئولية التي سئلت على كاهله ، ويطلب من الله ان يقيض لطائفته راعياً حكيماً ، غيراً ، عالماً ، خيراً ليسوسها سياسة رشيدة على حسب ما يقتضيه العصر وحاجاته .

كان فكره يحول متنقلاً بين اجار الطائفة يؤنهم واحداً فواحداً ليري من كان كفواً لذلك المنصب الخطير السامي والمب. الثقيل . وكان يرى الكفاة في صديقه المطران يوسف الي نجم ، شأنه في ذلك شأن جميع الموارنة في تلك الايام . وما خطر بباله انه سيكون هو خلف البطريوك يوحنا الحاج ، لانه لم يكن مقتداً بذاته انه افضل من ذلك او من سواه ، ولانه كان يؤعبه كثيراً ركوب البحر في الصيف والبحر صاف هادي ، فكيف به وهو وقتئذ في ابان الشتاء . والمواصف تلو المواصف والاعصار يتبع الاعاصير . وكان الوقت ضيقاً لا يمكنه من الوصول اني بجمع انتخاب البطريوك في الوقت المناسب . كل هذا

جال في خاطره فحسبه دليلاً من الله على انه تطلى لا يريده للبطريركية، فمضه على مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية ليستنير برأيه ويرتشد باوامره ويلقي عن عاتقه عبء المسؤولية في ما عزم على عمله بالبقاء في رومية ، فاقتمه مجمع انتشار الايمان بوجوب الرجوع الى لبنان للاشتراك في انتخاب البطريرك . فظن انه يواجهه البابا لاون الثالث عشر يستطيع ان يتخلص ويتخلف في رومية ، فبجاء الامر معكوساً . لان العناية الالهية ، التي كانت اختارت شطراً لاون الثالث عشر العظيم نجماً وضأء ، كانت قد اختارت النجم ذاته طالماً سميذاً للبنان بالحويك . فما كان من لاون الثالث عشر الا ان امره بالمبادرة الى لبنان . وكان ذلك الخبر الاعظم الخالد الذكر بفراسته قد قرأ ما سبقت ورسته العناية الالهية للبنان على يد الحويك فصرح له بتلك الارادة العالمة الابوية . فانمحي الحويك ملبياً اشارة من اشارته حكم مطيحاً لرغبته وغادره وغادر رومية متروداً بيركه الرسولية متيناً بها ، متكلاً على الله مرمياً بين يدي الرب . فحملته انواء البحر وعواصفه ، وهو لا يمي على شيء من شدة الدوار الذي ألم به ، الى ان بلغ لبنان عند مقيب اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٨٩٩ . وفي صباح اليوم الخامس من الشهر عينه قرعت اجراس لبنان من اطرافه الى اطرافه تقبّر الموارنة والبلاد بأن قد ارتقى الى السدة البطريركية الانطاكية على الموارنة المطران الياس الحويك باجماع الرأي بين اساقفة الموارنة في ذلك الهدى . فاستغرب الناس عند ما رأوا ذلك النجم الذي ما كان احد يفكر فيه ، ولم يكتسوا استغرابهم !

غير ان الله الذي ربط حظ الموارنة بالسدة البابوية الرومانية شاء ان يبرغ هذا النجم من ذلك الاذق العالي الفسيح ليُنهم الموارنة واللبنانيين ان طالهم معلق على تعلّمهم بالسدة الرومانية ، وانهم لتلك السدة الرسولية مدينون بوجدهم الديني وثباتهم الاعتقادي وكيانهم السياسي والمدني، وانهم اذا اتقروا عنه او اتمدروا قيد شجرة يزول مجدهم وينيب طالهم !

فمن كان يظن ان جرس الكنيسة في حلتا يوم كان يُقرع وحده في حفلة تصعيد الياس الحويك قبل ست وخمسين سنة كان يدعو اجراس الكنائس في لبنان

لتشازكه في فرحه ، ولو بعد نصف قرن ونيف . ومن كان يتوهم وقتئذ ، ولو في الحلم ، ان صوت ذلك الجرس الذي كان يضيع صداه في اودية حلتا المجاورة بعد ان يتجاوب فيها سيضيع بين اصوات اجراس لبنان المترخمة فرحاً في صباح ٥ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ١٩

ان ما هو مجهول عند الناس لمعلوم عند الله ، وما هو صغير في عيون البشر لعظيم في عينيك يا رب ا ولكن كم سُمع في لبنان على اثر انتشار بشرى ارتقاء الحويك الى كرسي بطرس الانطاكي كلام يشبه كلام تتائيل « الاسرائيلي الذي لا غشّ عنده »^(١) : « أمن حلتا يخرج راعي الموازنة ؟ ايكون في حلتا شي . صالح ؟ »^(٢) أجل هذا كان رأي أكثر الناس يوم ذاعت البشرى بالبطريوك الحويك . اماً رأي العناية الالهية فقد كان غير ما ارتأى البشر . فما احسن الاعتماد على الرب وعلى عنايته الصمدانية وما افقر الاتكال على الناس وعلى نظرم القصير ا

ولما قرعت الاجراس في كفرحبي حيث جلس القديس يوحنا مارون ، اول بطريوك على الطائفة المارونية في لبنان ، كانت غرة ، والددة البطريوك الياس الحويك ، في كنيسة البطاركة هناك تصلي حسب عاداتها التي واطبت عليها بعد إرماها ثلاثين سنة في تلك الكنيسة لا تفارقها لا ليلاً ولا نهاراً كأنها حنة النبية تنتظر في هيكل الرب عزاء اسرائيل^(٣) . فلم تقطع صلاتها ولا سألت عن اسباب قرع الاجراس . فجاءها من بشرها بارتقاء ابنها الياس الى كرسي بطرس الانطاكي فقالت : « جعل الله ذلك لخلص نفسه وخير الطائفة ، ورحم من المجد العالمي . اني اخاف ان يجره مجد البطريكية الى المجد الباطل فيضطر ان يتأسف يوماً وهو في ابان العظمة البطريكية على سذاجة حلتا وقداة الحياة فيها ا فضلوا لاجله !

عواطف ام قديسة ما كان يبعدها عن الله وعن سذاجة حياتها شي . من عظمة هذه الحياة ا

الآ اننا نستطيع ان نجارب تلك الام التقيّة بعد ثلاث وثلاثين سنة مضت على ابنها الياس في البطريكية المارونية ، بعد ان بلغ ابنها اوج المجد في حياته ،

ولم يبق مجال للاستراحة ، بعد ان شاهدنا ادوار ذلك المجد في حياته وفي مماته ، أن لا تخافي ايها الام الثقية على ولدك فانه سيميش في مجد البطروكية كما كان في حضنك وتمت نظرك في مزرعة حلتا الضيرة ملاكاً في جسم انسان ساذجاً عن حكمة مقدسة في اقواله وفي اعماله ، لا يزهر ولا يتكبر ، ينسب كل حسن فيه وكل عظمة ينالها وكل كرامة تأتيه وكل نجاح يصيبه الى الله وحده والى عنايته الصمدانية ، مفضلاً عينيه عن ذاته كما اغضها عن المجد والكرامة اللتين كُفّن بهما يوم دفنته التي ما رأى لبنان ، ولا الشرق لها مثيلاً في جميع تقاليد ايامه ولا دُرج في صفحات تاريخه صفحة شبيهة بتلك الصفحة الخالدة . ألا قرى عيناً فهذا الولد هر قرّة لسينك كما دعا لك ولوالده نبوة حلتا يوم وضعته غلاماً في دُجى ذلك الليل البهيم ليل ١ كانون الاول ١٨٤٢ !

انا اعتقد ان صلوات تلك الام وسذاجتها وتواضعها وقداستها هي التي اوصلت الياس الحويك الى ما اوصاته . فما اعظم الام التي تصلي وتكون قديسة ، انها تكون كترّاً للوطن عند الله وعند الناس ، ولا غرو فانما قد تمودنا ان نرى الى جانب كل قديس وكل عظيم اماً عظيمة وقديسة . فالى جانب القديس اغوستينوس فخر افريقية ومجد اساقفتها وعمود الكنيسة الجامعة وملفانها ، نرى امه القديسة مونيكا التي ردت اغوستينوس بصلواتها الى الله فكان منه ما كان ومن كان . والقديس لويس التاسع ملك فرنسا يكاد يجتجب بجلالته وعظمته امام عظمة امه الملكة بلانش ده كاستيل ! وهكذا دواليك كلما تلبنا تواريخ الرجال العظام في الدين والدنيا .

* * *

قد تسأل الناس في ذلك العهد ، ونحن نتساءل معهم اليوم ، ما الذي حل الاساقفة الموارنة آنشد فانتخبوا المطران الياس الحويك بطريركاً ولم يختاروا المطران يوسف ابا نجم كما كان يتوقع الرأي العام في الطائفة والبلاد ؟ وما هي الوسائل البشرية التي استخدمتها العناية الالهية حتى توصلت الى غرضها رغم اغراض الناس وظنونهم ؟ ان من امعن النظر في المسألة وحكم عقله وحكم على الاشخاص كما كانوا وليس كما يريد ، تجلّى له الحقيقة بأجلى مظاهرها .

نظراً لاساقفة المواردنة المتجتمون وقتئذ في بكركي الى كفاة كل منهم ، فوجدوا ان الحويك كان المطران الذي اختاره البطريك الراقده بالرب ، يوحنا الحاج ، من كان يعرف زمانه ورجاله افضل معرفة ، ليحقق افكاره ومشاريعه الكبيرة فأسند اليه الاهتمام بإحياء مدرسة رومية ، وبانشاء الوكالة البطريركية في القدس ، وبالحصول على كراسي مجانية للاكليزيكيين المواردنة في باريس وبتأسيس جمعية واهبات الطائفة المقدسة المارونيات . وان الحويك كان عند حسن ظن ذلك البطريك المقدم ، وانه قام بمهته احسن قيام وفاز بها سريعاً فوزاً لم يسبقه اليه احد قبله ، اذ كان سبق فهدى الى بعض الاساقفة السمي لتجديد مدرسة رومية مع التفويض اللازم لذلك فلم يفر احد منهم في مهته . ووجدوا ان الحويك كان اوسمهم علماً واكثرهم اختياراً قد قرّن بالاسفار ، واحتك بكبار الدين والدنيا في الشرق والغرب ، وكان قريباً من قلب الخبر الاعظم بابا رومية لاون الثالث عشر ، وتليداً من خيريجي جامعة انتشار الايمان المقدس . ورأى المطران ابو نجم المرشح الوحيد الذي كان يزاحم الحويك ، ان الحويك صديقه الصدوق ، ورجل الساعة بعلمه وفضله ، فتناسى شخصيته وبرزت امامه شخصية الحويك لامعة لا تشوبها شائبة ، فقال مع القديس يوحنا المعمدان : « له ينبغي ان ينمو ولي ان انقص . »^(١) فأثر ان يتنازل لصديقه من ان يتشبه بذاته ليظل السلام سائداً في ربوع الطائفة ولينجو من المسؤولية العظيمة في تحمل مشاق البطريركية . فالعلم الراجح في الحويك والفضيلة المتأخرة ، والاختبار الطويل ، والثقة العمياء التي كانت للبطريك يوحنا الحاج فيه وفوزه في ما استده اليه من المهام الخطيرة ، وحكمة وتضحية المطران ابي نجم والرغبة في اجراء الانتخاب البطريركي بدون اختلاف خشية من ازعاج رومية ، كل هذا ألجأ المطران ابا نجم ليقول لاصحابه لا تقترعوا ببدلي ولكن لأخي المطران الحويك فهو افضل مني . قال هذا وفعله امام الجميع ، فكان كبيراً بتنازله وتواضعه ، كما كان كبيراً من قبل بعلمه وفضائله . وكان من وراء عمله ان العناية الالهية امتت مقاصدها وفازت بين شامت .

ان اتحاد المواردنة برومية تظهر نتاجه الحسنة في مثل تلك الظروف لان معرفة الاساقفة اصحاب الحق بانتخاب الطيريك ان اختلافهم قد تكون عاقبتهم الالتجاء الى رومية للفصل فيه ، ولحرمانهم من حق لهم مقدس اساووا استماله ، تضطارهم الى الاستمداد والتفكير ، والحرص الشديد قبل الاقدام على عمل يجبرهم حقهم او يشير الى انهم ما عرفوا الاستفادة منه . وهم في هذا امثلة لغيرهم من الطوائف النير الكاثوليكية ، ومثال يُستفاد به منهم لدوام الاتحاد مع رومية . فبارك الله باتحاد يفيدنا للارض وللسماء وسلام على ارواح اولئك الاساقفة الذين عرفوا ان ينظروا الى مصلحة الطائفة ويفضلوها على مصالحهم الشخصية ، الذين آثروا مجد الطائفة ومجد الكنيسة ومجد الله على مجدهم الخاص . ان اجيال الملة المارونية واجيال لبنان تعترف بحمليهم وتبارك الى الدهر اسماءهم وتحتد لهم ذكركم . وتباركت الناية الالهية التي تسخر لارادتها المقول والقلوب من كبار الناس وصغارهم !

نظرة الى الطيريك

اذا انت رمقت الكوكب بنظرك تراه كله ، او اذا انت رفقت لحاظك الى لبنان من بعيد وانت راجع اليه من المهجر على ظهر السفينة تشاهده جميعه بمعلته وجلاله يناطح السماء بأكامه الدهرية البيضاء ثلجاً ، ويختاط بسواحله مع البحر وباطرافه المرتفعة مع الافق والفلك العالي . ولكنك اذا دنوت من لبنان بذاتك ووقفت في واد منه او في اي مكان فلا يقع نظرك الا على بقعة منه صغيرة هي الاقرب اليك ، ويفيب الباقي عنك فتصرف الايام وربما الشهرز ، تنتقل فيه من بقعة الى بقعة على قدميك او في سيارة لتراه جميعه وتعبز ويميك الثعب . واذا ادناك المنظار المكبر من الكوكب لا تشاهد منه الا نقطة من بحر لا شيء . فيها من جمال ذلك الكوكب السيار ولا من سانه ا هكذا يكون حظك من الرجل الكبير الطويل العمر الكثير الاعمال ، اذا انت رمت ان تقرأ سفر حياته جميعه يوماً فيوماً ودقيقة فدقيقة . انك تضع بين المؤلف والتافه من اعماه وبين الحظير والنادر القياس منها فلا تدرسن الانسان الكبير بوقائع ايامه كلها ، بل قف على جبل عالٍ من بعيد ، وانظر

إليه جيلاً عالياً بميّداً عنك فتمتّع لحاظك بظلمته وشموخه في التلك الطلي
مجال هضباته وسفوحه واوديته وصغوره ، فتهبّ وتدرك كل حدوده بلحظة
عين دون ان ترعج نفسك كثيراً . واكفّر بان تقف بعرك على بعض ما يلفت
النظر . من ساحر المجال وجلال الخلق . قف بميّداً عن الرجل الكبير وادرسه
بجموعه فتراه كله ، وخذ لك من حياته امثلة يكون لك اي منها انموذجاً في
الحياة . اني اعتمدتُ ألا افضل الا هذا في اللوحة الوحيدة التي اضما عن
البطيرك الحويك . وما عاني اورد في هذه الفدلكة عن رجل عظيم عاش
تسعين حولاً تقلّب فيها في جميع المناصب الدينية وقابل اعظم عطاء الارض
من سلاطين وامبراطرة وملوك وروساء جمهوريات الى ان صار عميد لبنان فكان
لبنان تاريحياً حافلاً بالاعمال الكبيرة وبالآثر الخطيرة في قرن كامل ؟

وما عساني اقول عن بطيرك قضى ثلث قرن بطيركاً حدثت في ايامه
حوادث خطيرة غريبة من حرب عابية ومجاعات ونواب ، ومن سقوط ممالك
وقيام أخرى على انقاضها ، ومن زوال سلطنات وامبراطوريات من سفر الوجود
الدولي ، ومن رجوع الاستقلال الى لبنان بعد ان فقدته ثمانين حولاً ؟ !

لهذا اني اعرض لانظار القارئ الكريم هيكل تاريخ الحويك في بطيركيته
موردًا خطوط رسمه الجليل خطأ خطأ ، ذاكرًا موقفه من ربه ، ومن طائفته ،
ومن رومية ، ومن فرنة ، ومن لبنان ، ومن سائر ما يتفرّع عن ذلك .

غير اني قبل ان اشعر في التفصيل اسمير القلم الملي السّال ، قلم
الاسقف المسجدي الفم والتلم ، الاصيل الراي ، فخر الاسرة البستاني بمكته
ورفته واجتماع القلوب على محبته ، المطران اغوسطين البستاني الذي ما عرف احد
ان يصور البطيرك اللبناني بريشته كما صورّه هر ببراعته الخلابة فقد صورّه
اخلاق البطيرك كلها فاجاد واحاب بل اجاد وبلغ حد الاعجاز وما ترك
لمستريد مجالاً ، وصفه في الكركب السّار الذي دون فيه حوادث رحلة
البطيرك الحويك عام ١٩٠٥ الى رومية فياريس فالاساتنة ، قال ص ٢٠ :

« وقصارى الكلام ان غبطة سيدنا وأينسا المطرب جمع من الكمالات
والفضائل ما قلنا يجتمع لافراد الرجال فزينا بالآثر وحسن الاعمال . وهو ،



غرة الحوتيك

والدة الملك الرحمت البطريرك اللبناني الياس بطرس الحوتيك



حسه الله ، كما هو معلوم عند الجميع ، شديد الثقة بالله والاتكال عليه ، عزّ ثناؤه ، طاهر الذليل ، طيب السريرة ، حرّ الضمير ، عزّز النفس ، سخى اليد ، نافذ البصيرة ، قوي الذاكرة ، رائق الذهن ، رحب الصدر ، قرن النظنة بالشجاعة والمدل بالرحمة ، لا يجاني بالوجوه ، ولا يميل عن قصد السيل ، رضي في كلامه ، صادق في روايته ، وفي بوعده ، لطيف بمحاضرتة ، مهاب في مجلسه ، بعيد عن الغضب ، قريب الى العفو ، أب وديع ، ورئيس حكيم ، ساهر على اعمال وظيفته السامية فلا يُبضى منها عمل ولو طفيفاً الا بطله وامره ولذلك يُرى مقامه البطريكي ، الذي ملأه بمناقبه القراء . ومزاياه الفريدة ، موضوعاً لاجلال العظماء ولاحترام كرام الناس من كل ملة ونحلة ورتبة ومقام^(١) .

هذه صورة البطريك الحويك منذ ارتقى الى السدة البطريكية سنة ١٨٩٩ الى عهد وصفه الكاتب الاممي سنة ١٩٠٥ . هذه صورته من ذلك الوقت الى وفاته كما عرفتها بذاتي مراراً ، وكما عرفها كل من تقرب من ذلك الرجل المصامي القديس واللبناني الفذ . هذه هي صورته كما سمعنا بها ممن عرفوه مطراناً وكاهناً واكليميكياً ، فقد كان كجبل صين الذي ولدنا وعشنا ونموت وهو مائل امامنا ، جبلاً عالياً مهيباً لا يتغير ؛ بل كالارز الخالد في لبنان الذي يحيا وينمو ، وتتغير في ظلاله الاجيال والشعوب اللبنانية ، وهو كما كان لا يتغير في جوهره ولا في نضارته ولا في جماله .

هذه صورة الحويك كما كان في جميع ادوار حياته . وقد رأينا شيئاً منها في ما اسلفنا فقلناه ، وسنرى الباقي في ما سنرده بالاختصار من وصف حياته ولاسيا في عهد بطريكيته . وقد سبقت فوضت صورة البطريك كتابةً ووصفاً كما اعتاد الناس ان يصدروا تراجم العظماء بصورهم الشمية !

(١) راجع الكوكب السيار في رحلة . . . مار الياس بطرس الحويك . . . الى رومية وباريس والاساتنة العلية ، وهو سفر فليس من اغس ما كتب في الرحلات اجتمع فيه من الفوائد ما ندر ان يجتمع في سراه . كتب بركة وسلاسة وانسجام اقل ما يقال فيه انه سهل المتع ، صفحاته ٢١٢ صفحة ، وهو صفحة مجيدة من حياة البطريك اللبناني لا تحق لمن يريد ان يتعرف جيداً الى ذلك البطريك العظيم من مطالعتها كلها . والادب والتاريخ مديان جا لنعم سيادة المطران البستاني عهد كان لا يزال قساً نائباً عاماً للربانية الحولية اللبنانية المارونية .